محاضرات الأستاذة بن مزهود شهيناز.

مقياس الفلسفة السياسية.

السنة الثالثة تخصص : فلسفة عامة

المحاضرة1

مقدمة

لقد شكلت نظرية العقد الاجتماعي داخل النظرية السياسية منعطف كبير لفهم السياق الحداثوي للسياسة ومعالمها الحداثية التي ظهرت مع ميكيافيلي الذي يعد أساس القطيعة مع اللاهوت والمؤسس لمنطق القوة السياسية إلا أن نظرية العقد الاجتماعي ساهمت في إرساء قواعد الحداثة السياسية بدءا بالمنعرج الهوبزي الذي انتج رؤية مغايرة لطبيعة المجتمع ثم جون لوك الذي أوجد أسلوب العقد بصورة عقلانية لننتقل إلى روسو المنادي بالسيادة الشعبية .

الدلالة المفاهيمية للعقد الاجتماعي

وردت فكرة العقد الاجتماعي في كتابات كثير من المفكرين وبالتالي فإن الفكرة في حد ذاتها ليس بالأمر الجديد لأننا نجدها عند السوفسطائيين وكذا فيلسوف اللذة ابيقور ولدى الرومانيون وكثير من فلاسفة القرن السادس عشر أمثال هاتمن ولاتي هذا من ناحية الاستقراء التاريخي لجذور الفكرة باختصار اما من الناحية الدلالية فان مصطلح العقد الاجتماعي تتمحور فكرته حول أن الناس كانوا يعيشون في البداية على حالة طبيعية القائمة على الصراعات النزاعات والحروب مما أدى بالناس إلى التفكير في تعاقدات وتنظيمات تنظم علاقاتهم الاجتماعية من أجل الدفاع عن حقوقهم و أنفسهم من الأخطار الخارجية كالطبيعة أو الأقوام الأخرى, يتم من خلال هذا التنازل تخلي كل فرد من جزء من أنانيته الفردية لصالح الآخر لكي يلتزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم على البقاء ولكي يستمر تنظيم الأفراد الاجتماعي يجب أن يخضعوا إلى قادة أكفاء قادرين على توجيه حياتهم الاجتماعية توجيهاً يخدم حاجاتهم وحمايتهم، كل هذه الظروف عملت على ظهور فكرة العقد الاجتماعي

بشكل طوعي دون إلزام أو إكراه من قبل أفراد المجتمع. إن النقطة المركزية – التي ظلت تدور حولها نشاطات الإنسان لفترة طويلة هي العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض من جهة وبين عناصر البيئة المتنوعة التي تحيط بهم من جهة أخرى, هذه تمثل مرحلة تاريخية تلتها مرحلة أخرى جاءت نتيجة تطور المجتمعات إلا وهي علاقة الحاكم بالمحكوم[1].

يعنى " العقد الاجتماعى Social Contract " أن ثمة تعاقداً تم بين مجموعة من الأفراد من أجل نشأة الدولة ، سواء كان هذا التعاقد بين الحكام والمحكومين ، كما هو الحال عند لوك ، أو بين المحكومين وبعضهم البعض ، عند هوبز . وعليه نجد أن نظرية العقد الاجتماعي ليست بالشيء الجديد إلا أن الفضل يرجع إلى أوربا وبالتحديد العصر الحديث وفلاسفتها السياسيين – ليس فقط فى إلقاء الضوء على فكرة العقد الاجتماعى من جديد – وإنما فى تناول هذه الفكرة من منطلق جديد ، حيث إبراز الفردية Individualism والارتكاز على الفرد كفرد وليس على المجموع أو الناس بالمعنى الغامض لهذه الكلمة ، فاعتبار الفرد وحدة قائمة بذاتها لها كيانها هو تصور طرحه العقد الاجتماعى بشكله الجديد ، فهذا الطرح الفردى ، إلى جانب كونه جديداً ، فإنه أحد ركائز الفكر الليبرالى.

ومن الجدير بالذكر أن العقد ليس سوى افتراض خيالى بمعنى عدم وجود سابقة تاريخية له ، حيث التجأ إليه المنادون به كتبرير ميتافيزيقى لنشأة الدولة ، مما جعل كانط يصفه بالخرافة المنهجية . ولقد ساعدت نظرية العقد الاجتماعى في القضاء على نظرية الحق الإلهى المقدس للملوك والتى ظلت راسخة لفترة طويلة ، بما يحمله هذا القضاء على الحق المقدس للملوك من تحقيق لعلمانية السلطة ، أى نقل مصدر السلطة من السماء إلى الأرض ، فلم يعد الله هو واهب السلطة لفرد معين أو أسرة معينة ، وإنما الأفراد المشاركون فى هذا العقد هم مصدر هذه السلطة[2].

-العقد الاجتماعي عند توماس هوبز:

يعد توماس هوبز Thomas Hobbes (1588 – 1679) إلى جانب كل من لوك وروسو من بين الذين ساهموا في وضع النظريات السياسية للدولة الحديثة في بريطانيا وفي أوروبا (فلكى نفهم الطبيعة الفكرية لـ " هوبز " علينا أن نستقرئ العصر الذى عاش فيه من ناحية

الظروف الاجتماعية والسياسية ، وكذلك التوجه الفكرى السائد الذى كان نتاجاً لهذا العصر ، فليس من المبالغة القول بأن أصالة هوبز نابعة من وعيه بطبيعة عصره)فلقد تأثر بالأحداث السياسية التى مرت بها إنجلترا إبان حياته ، لقد أرجعت أمه ولادته المبتسرة قبل الأوان لخوفها من وصول الأسطول الأسبانى إلى إنجلترا ، كما دفعه الصراع بين الملك شارل الأول والبرلمان والذى انتهى بالحرب الأهلية فيما بين عامى 1642 – 1647 إلى كتابة رسالة بعنوان " مبادئ القانون الطبيعى والسياسى " دافع فيها عن السلطة المطلقة للملك ، بوصفها أمراً لا غنى عنه للنظام الاجتماعى والوحدة الوطنية [3].

1. السلطة عند هوبز

فعرف هوبز السلطة في كتابه **اللوثيان**[4] بأنها ما يملكه الفرد من وسائل لنيل بعض المنفعة الظاهرة، انطلاقا من هذا التعريف يعطي هوبز وصفا للحاكم اذ يعتبره مجموع سلطات عدة أفراد ولهذا فإننا نجده يطلق على مفهوم السلطة التي تمثل الجميع بلفظ العاهل أو السيد الحاكم the sover وذلك لكون أنه يمثل البنية الكلية لذلك الحشد المتمثل في الشخصية الاعتبارية لهذه الدولة الجديدة، ومادامت هذه السلطة تمثل هذا الحشد فإنها ستكون بطبيعة الحال سلطة عظمى أقوى من أحد الرعايا أو عدد منهم[5].

وبهذا حاول هوبز أن يوجد من خلال التعاقد تسوية ظرفية انطلاقا من انحلال الفرد داخل ارادة مشتركة وهي ارادة الجماع، كل هذا من أجل تحقيق وحدة مدنية، هنا يخبرنا هوبز أن أعظم سلطة بشرية هي تلك السلطة التي تتشكل عن طريق الاغلبية لصالح شخص واحد، يتحدد تلك الشخص عن طريق القبول. إلا أنه يشير هوبز بماهي ارادة الفرد مع ارادة الكل تفترض اختلاف الارادات لا اتفاقها وذلك عن طريق التعاقد ولكن عندما يرضخ الانسان لشخص آخر هذا معناه أن ذلك الآخر سيتحكم في أفعاله وكل ما يتعلق به من مسؤوليات وواجبات وحقوق انطلاقا من أنه خول له ذلك ومن أهم الأمثلة التي تمثل هذا الشخص هي سلطة الكمونولث التي يصفها هوبز بأنها سلطة قائمة على فكرة العقد (contrat)[6] .

فلقد كان التصور الهوبزي بمثابة منعرج من أجل تأسيس قواعد الحداثة السياسية وذلك لما كان له من تفكير مغاير لطبيعة المجتمع والدولة فلم يبقى للسلطة الدينية والكهنوتية أي ريادة، لأن هوبز اعتمد في تقديره على البعد الفلسفي المتمثل في كون المجتمع هو منتج تلك الصلاحية، وليست القوة الذاتية للحاكم كما كانت مع ميكافيلي وإنما الهيبة التي يصنعها ويخلقها المجتمع على الحاكم وانطلاقا من هذا فإن السلطة تصنع للخضوع لها والتصور القائل فإن السلطة يخضع لها لأنها موجودة بأصل تصور بنفسه هوبز لأن فكرة التعاقد الاجتماعي تحقق المطلب الهوبزي فقدان الحرية الطبيعية من أجل وضع قانوني ينبغي الالتزام به[7].

إن المقولة القائلة بأن هوبز يطمح في القضاء على كل احتمال للثورة أو الحرب هي التي كانت بمثابة اثارة للنقطة التي عالجها فوكو في محاضراته ***"يجب الدفاع عن المجتمع"***، ففوكو يعالج كتاب" ***التنين*** " وهو يهدف الى وضع محاولة كيف تبتدأ الحرب بالظهور بوصفه محللا لعلاقتها بالسلطة في نهاية القرن 16 وبداية القرن 17، ولكن في نظر هوبز يؤكد فوكو أن أطروحة هوبز حول السيادة ليس لها ادنى صلاحية من أجل الحد من السيادة كما يؤكد فوكو أن الحرب هي التي تعيش في الدولة كما أن حالة الحرب لا تلعب أي دور في مشروعية السيادة[8].

---

[1] أحمد د. محمد شريف، فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين، دراسة مقارنة، دار الرشيد، العراق، ط1، 1980 ص122

[2] علي المحمودي: نظرية الحرية في الفلسفة السياسية من منظار هوبز ولوك، دار الهادي ، بيروت،ط1 ،2004 ،ص40،41 .

[3] ول ديورانت : قصة الحضارة ، عصر لويس الرابع عشر ، المجلد السابع عشر ، ترجمة فؤاد أندراوس ومحمد على أبودرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،2001 ، ص3

[3]

[4] اللوثيان : هو اسم كتاب لهوبز ، حيث يعود لفظ بالاصل إلى معنى التنين الذي له أكثر من ذراع ، إلا أن دلالته الإستعارية يعني بها الدولة أو الجمهورية ،أنظر(جان جاك شوفالييه: تاريخ الفكر السياسيمن المدينة الدولة إلى الدولة القومية،ص326 .

[5] باري هاندس:خطابات السلطة من هوبزإلى فوكو، ترجمة ميرفت ياقوت، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1 ،2005، ص 51 .

[6] باري هاندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو ، ص61

[7] علي المحمودي: نظرية الحرية في الفلسفة السياسية من منظار هوبز ولوك، دار الهادي ، بيروت،ط1 ،2004 ،ص40،41 .

[8] Gabriel Hurlimann ,Hobbes,Foucault et la peur de la révolte,éd collége intrnationnel de philosophie1l(n°77),2013,p52

المحاضرة02: (تابع)

1. من السيادة الإلهية إلى السيادة المطلقة داخل العقد الاجتماعي عند هوبز

رأى هوبز في كتابه اللوثيان " إن الناس بطبعهم أنانيون تماما يلتمسون بقائهم وسلطاتهم والحصول على القوة". هنا هوبز يؤكد على وجود حياة طبيعية سابقة عن نشأة الجماعة، ولكنها حياة فوضى وصراع انها حرب دائمة مع أخيه الانسان مما ألزم الأفراد إلى التعاقد لإنشاء الجماعة السياسية وهذا التعاقد تم فيما بينهم واختاروا بمقتضاه حاكما لم يكن طرفاً في العقد ولم يرتبط لذلك تجاههم بشئ، وخصوصاً إن الأفراد تنازلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية[8].إن السيادة هنا تنقل السيادة من الشعب على الحاكم ، فلا يدخل الحاكم طرفا داخل العقد وبالتالي لا يمكن محاسبته لأنهم سيتنازلون عن كل حقوقهم من أجل القضاء على التعددية المنتجة للصراع

هنا يتضح الشكل النهائي لصورة العقد الذي يتبين أنه الكائن الاصطناعي الاسمى الذي تجتمع فيه جميع الارادات البشرية التي تمتلك صورة السلطة المطلقة بإعتبار أن الإنسان ذئب للإنسان وإن الكل في حرب ضد الكل[8]

ناهيك عن ذلك , يجد بأن الحاجة استشعار القوة يحملان الفرد على بأكثر ما يستطيع الظفر به من خيرات الأرض وإن أعوزتهُ القوة لجأ إلى الحيلة، والدليل على ذلك ما عرف عن أجدادنا البرابرة وعن المتوحشين وماتخذ جميعاً من تدابير الحيطة وأساليب العدوان، وكذا ما نراه في العلاقات ما بين الدول ، وعليه فإن هوبز لخص العلاقة بين السيد وعبده وبين الانسان وأخيه بلاانسان مما جعل نظريته تتسم بالبعد الانساني

1. ملامح الاسهام الحداثوي عند هوبز

تعد السياسة الهوبزية دراسة لطبيعة المجتمع ونشوء الدولة فيها عن طريق تزمين الحكم وجعله دنيويا بدلا من جعله حق الهي للملوك بل على لعكس من ذا انه خكم المطلق ولكن من أجل مصلحة الأفراد

ارساء قواعد للحكم المطلق بمعزل عن السلطة الدينية بل بالضد منها واخضاع الكنيسة للسلطة المدنية

الخلاف مع فكرة ان الدولة كائن طبيعي لها بعد ميتافيزيقي وانما على العكس من ذلك هي ارادة الانسان

العمل على الكشف عن آليات ديمقراطية في اختيار الحاكم

لعل الهدف الاساسي متمحور حول تحقيق العدالة باسم القانون المدني الانساني[8]